كنيسة آيا صوفيا ومراسم صلاة الإمبراطور البيزنطى
من خلال المصادر العربية

☜ إعـــداد

د/نجلاء حسين محمد توفيق

المدرس بقسم التاريخ

كلية الآداب- جامعة أسيوط

ـ مقـدمة:

تعد صلاة الإمبراطور البيزنطي داخل كنيسة آيا صوفيا جزء لا يتجزأ من حياته اليومية، تلك التى تبدأ فى تمام الساعة السابعة صباحًا من كل يوم، حيث يقوم كبير الحجاب(١) وبصحبته ضباط الحرس(٢) بفتح باب المدخل الرئيسى للقصر الإمبراطورى(٣)، بعدها يبارح الإمبراطور حجرته الخاصة(٤)، يحيط به خدمه ويتجه نحو الكنيسة العظمى (أى كنيسة آيا صوفيا) لتأدية الطقوس والصلوات وسط موكب كبير من كبار رجال دولته(٥).

ولعل هذه الطقوس والصلوات التى كان يؤديها الإمبراطور البيزنطى داخل كنيسة آيا صوفيا قد لاحظها بعض ممن زاروا القسطنطينية من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين، سواء شاهدوها بأم أعينهم أو أخذوها بالنقل أو بالسماع، فوضعوا لها وصفًا فى مؤلفاتهم، صور لنا ما كانت عليه الحياة اليومية لأباطرة بيزنطة، ومنها صلاتهم وما صحبها من مراسم.

لكن وقبل التطرق لمراسم هذه الصلاة كما وردت فى المصادر العربية لابد وأن نتعرف أولاً على أهم كنائس القسطنطينية، ومدى الأهمية التى كانت عليها؟ ثم كنيسة آيا صوفيا، وما حظيت به من العناية من قبل أباطرة بيزنطة، حتى خصوها دون غيرها من الكنائس بالصلاة فيها؟

بادئ ذى بدء نذكر أن كنيسة آيا صوفيا لم تكن هي الكنيسة المنفردة بالأهمية على أرض بيزنطة، إذ أن الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الأول Constantine I (٣٠٦-٣٣٧م)(٦)، قد عول منذ أنشأ مدينة القسطنطينية عام ٣٣٠م(٧) على ضرورة جعلها مسيحية الطابع، فأسس بها العديد من الكنائس، كان من أهمها كنيسة الرسل المقدسين Holy Apostles، وهى واحدة من مفاتن القسطنطينية(٨) والتي شيدها قسطنطين تذكارًا للرسل المقدسين(٩)، وهذا ما أشار إليه ابن خرداذبة(١٠) بقوله: "وفى داخل المدينة (أى مدينة القسطنطينية) كنيسة بنيت على اسم بطرس وبولس الحواريين"(١١).

أما عن عمارتها فقد ذكر ابن خرداذبة: "أن طول هذه الكنيسة ثلثمائة ذراع، وعرضها مائتا ذراع، وسمكها ثمانون ذراعًا، مبنية بقناطر نحاس أصفر، وأركان نحاس أصفر مفرغة، وسقف هذه الكنيسة وحيطانها من نحاس أصفر رومى"(١٢). وقد اتفق مع هذا القول يوسابيوس القيصرى فى كتابه عن "حياة قسطنطين العظيم" إذ يذكر أن: "قسطنطين رفع الكنيسة إلى ارتفاع شاهق.. وعمل السقف من الداخل بصناعة دقيقة... أما السقف الخارجى فعمله من النحاس، وزينه بالذهب بشكل رائع جدًا، وأما القبة فكانت تحيط بها مشبكية دقيقة الصنع مصنوعة من النحاس والذهب"(١٣).

ويذكر أحد المؤرخين أن هذه الكنيسة كانت ذات أهمية كبيرة؛ لأنها حوت الكثير من قبور الأباطرة، وما كانت عليه أيضًا من الزخرفة، حتى أنها كانت النموذج الذى اتخذته كنيسة القديس مرقس بمدينة البندقية(١٤).

وإلى جانب كنيسة الرسل المقدسين كانت هناك كنائس عديدة ازدانت بها مدينة القسطنطينية(١٥)، فذكر ابن بطوطة(١٦): "أن كنائسها لا تحصى كثرة"(١٧)، وعددها البعض فذكروا: "وفى المدينة كنائس، فجميع ما فيها أربع وعشرون (ألف) كنيسة، وكنائس أخرى"(١٨). وأضافوا عن محتوياتها ما قوله: "وفى جميع كنائس المدينة آنية

من الذهب والفضة، وجرار من ذهب ومن نحاس... وفيها مصاحف تقرأ فى الكنيسة مكتوبة بالذهب والفضة.. وفيها كهنة وشمامسة ممن يجرى عليهم الأرزاق"(١٩)، وهذا ما أكده أحد المؤرخين بالقول: "... فإن ذكر لك أحد جزءًا من مئة عما فى كنائسها وقصورها من ثروة وجمال وعظمة، بدا لك كأنه يروى أكذوبه، ولن تصدق ذلك..."(٢٠).

ـ كنيسة آيا صوفيا:

ونضيف إلى هذه الكنائس كنيسة آيا صوفيا (وهى تعنى الحكمة المقدسة) والتى شيدها الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الأول Constantine I لرعاياه المسيحيين، وجعلها تذكارًا للحكمة الإلهية Hagia Sophia وهذا ما أكده الحميرى(٢١) بقوله: "أنه لما أكمل قسطنطين بناء هذه الكنيسة العظمى ورفع فيها الصلبان كتب بذلك إلى جميع البلدان، وبهذا السبب صار عيد الصليب وهو لأربع عشرة ليلة تمضى من أيلول(سبتمبر)"(٢٢). وكانت هذه الكنيسة قد احترقت مرتين بعد أن شيدها قسطنطين، المرة الأولى فى القرن الخامس الميلادى عام ٤٠٤م، فأعاد ثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)(٢٣) تجديدها فى عام ٤١٥م، والمرة الثانية فى القرن السادس الميلادى فى عهد الإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م)(٢٤) على إثر ثورة نيقا Nika ٥٣٢م(٢٥) فعهد جستنيان إلى كل من أنتيميوس الترالى Anthemius of Tralles (٢٦) وإزيدور المليتى Isidore of Miletus(٢٧) بإعادة بنائها، وقام جستنيان بإفتتاحها فى ديسمبر من عام ٥٣٧م، وكان يربط بينها وبين القصر الإمبراطورى رواق خشبى يرتاده الإمبراطور وحاشيته عند الذهاب إليها للصلاة أو الاحتفالات(٢٨)، لكن ما لبث هذا البناء أن تصدع فى عام ٥٥٨م؛ نتيجة للزلزال الذى تعرضت له القسطنطينية فى هذا العام، فأمر جستنيان بترميم الكنيسة، وإكتمل الترميم فى عام ٥٦٢م، وظلت هذه الكنيسة حتى استولى الأتراك العثمانيون

على القسطنطينية ١٤٥٣م فحولوها إلى مسجد، وصار يعرف باسم "آيا صوفيا جامعى" بعد أن أضيفت إليها المآذن والمحاريب(٢٩).

وبحق فهى تعد واحدة من عجائب العالم، حيث كانت تحوى أكبر وأهم مجموعة من آثار القديسين والمعروفة باسم "آلام المسيح Passion"، ونظرًا لأهمية هذه الكنيسة فقد أمها كل زوار القسطنطينية الأجانب تقريبًا، حيث أدهشتهم بروعتها وكنوزها وقدسيتها وذخائرها المقدسة(٣٠).

وعلى كل فإن كنيسة آيا صوفيا تقدم لنا صورة حية وناطقة لما وصل إليه فن العمارة من رقى وتقدم، وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال وصف الرحالة ابن بطوطة لهذه الكنيسة إذ ذكر: "وهى من أعظم كنائس الروم، عليها سور يطيف بها، فكأنها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابًا"(٣١). كما أورد أيضًا: "أن لها حرم نحو ميل، وعليه باب كبير لا يمنع أحد من دخله، وهذا الحرم أشبه بمشور مسطح بالرخام، تشقه ساقية تخرج من باب الكنيسة .. ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش بالخشب المرتفع عليه دوالى العنب، وفى أسفله الياسمين والرياحين.. وفى خارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طبلات (يبدو مصاطب) خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب"(٣٢).

ثم وصف ابن بطوطة باب الكنيسة الرئيسى وما عليه من خدم وقوامة فيقول: "وهو باب مصفح بصفائح الفضة والذهب، وحلقتاه من الذهب الخالص"(٣٣)، ويذكر فى موضع أخر: "أن عليه سقائف يجلس بها خدام الكنيسة الذين يقيمون طرقها، ويوقدون سرجها، ويغلقون أبرابها ولا يدعون أحدًا يدخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم وهو على باب الكنيسة"(٣٤). وكان على أحد أبواب هذه الكنيسة ما يشبه الساعة إذ يذكر هارون بن يحيى(٣٥): "وعلى الباب الغربى من الكنيسة مجلس فيه أربعة وعشرون بابًا صغارًا كل باب شبر فى شبر معمولة على ساعات الليل والنهار، فكلما

انقضت ساعة انفتحت منها باب من ذات نفسها، وإذا انغلقت انغلقت من ذات نفسها(٣٦)".

وعلى أية حال، فإن كنيسة آيا صوفيا كانت بمثابة بيتًا يؤدى فيه أهل القسطنطينية صلواتهم الدينية، ويذهبون إليه ليشاهدوا عظمة هذه الطقوس فيذكر ابن بطوطة: "ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أن يأتوا كل يوم صباحًا إلى زيارة هذه الكنيسة"(٣٧).

وعن نوعية هذه الطقوس الدينية التى كانت تتم داخل كنيسة آيا صوفيا فإنه لم يتسن لبعض من الرحالة الذين زاروا القسطنطينية أن يصفوها، إذا لم تتاح لهم فرصة دخول هذه الكنيسة؛ ويرجع السبب فى ذلك – وكما يذكر ابن بطوطة– إلى : "أنه كان على باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها.. ولا يدعون أحدًا يدخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم، وهو على باب الكنيسة محمول فى جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع، وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبًا"(٣٨).

مارس عدد من أهل القسطنطينية حياة الرهبنة داخل هذه الكنيسة فيذكر ابن بطوطة: "وذُكر لى أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتمى إلى آلاف، وأن بعضهم من ذرية الحواريين" ٣٩). ولم تقتصر الرهبنة داخل كنيسة آيا صوفيا على الرجال فقط، بل انقطعت فيها النساء أيضًا للعبادة – فيذكر ابن بطوطة كذلك: "أن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء، فيها من الأبكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف. أما القواعد من النساء فأكثر من ذلك كله"(٤٠).

وعلى هذا يتضح أنه كانت هناك أماكن مخصصة لمن أرادت من النساء الخلوة والتعبد والانقطاع داخل كنيسة آيا صوفيا.

هذا وقد وصفت المصادر العربية درجات السلم الكنسى داخل هذه الكنيسة– وهى نفسها التى أقرها التنظيم الكنسى وذكرتها الدراسات البيزنطية– فأوردها

المسعودى(٤١) على النحو الآتى: "البطريق (أى البطريرك) والأسقف(٤٢) والقسيس، والشماس، والمطران، والدمستق صاحب الفرق"(٤٣).

ويفصل المسعودى كلامه عن البطريق أو البترك(٤٤) أو البطريرك رأس الكنيسة فيقول: "إن بطريرك بالرومية يعنى بطرياركس، وتفسيره رئيس الآباء مخفف"(٤٥)، ويضيف على ذلك قائلاً: "... وهو ملك الدين والقيم به، كما أن الملك صاحب السيف، فهو صاحب كرسى القسطنطينية... وصاحب الكرسى هو شريك الملك، ليس يساوى الملك فى الخلق إلا هو، ولا يكفر الملك إلا له، وإذا جلس الملك على كرسى من ذهب، جلس البطريرك على كرسى من حديد، فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج وإعطاء الجند فهو إلى الملك، وما كان من الأحباس والوقوف لنفقات الكنائس والأديرة والأساقفة والرهبان وما أشبه ذلك من أمر دينهم فهو إلى البطريرك، وله فى كل بند عامل مثل عامل الملك. والبطريرك لا يأكل اللحم ولا يطأ النساء ولا يتقلد السيف ولا يركب الخيل، وإذا أراد أن يركب ركب حمارًا وحول رجليه على جانب مثل ركوب النساء"(٤٦).

وعن مهام بطريرك القسطنطينة يذكر المسعودى: "أن البطريرك هو المسئول عن أموال الأحباس (الأوقاف)، ونفقات الكنائس والأديرة والأساقفة والرهبان، وما أشبه ذلك من أمر دينهم"(٤٧).

أما ابن الأثير فيشير إليه بقوله: "وهو عندهم كالإمام الذى للمسلمين لا يُخالف أمره"(٤٨). أما مؤلف كتاب الأنس الجليل فيعرفه بقوله "وأما البطرك فهو الكاهن وكان اسم البطرك يوم ذلك صقريوس..."(٤٩).

ـ مراسم صلاة الإمبراطور البيزنطى:

هذا وكما أشارت المصادر العربية إلى الكنائس البيزنطية وكنيسة آيا صوفيا، فقد ذكرت أيضًا مراسم صلاة الإمبراطور البيزنطى، حيث كان على الإمبراطور البيزنطى

أن يخرج – وكما سبق القول– إلى الكنيسة العظمى (أى كنيسة آيا صوفيا) لتأدية الطقوس والصلوات وسط موكب كبير من كبار رجال دولته، وهى عادة قد ألفها الأباطرة. وقد وصف هذا الموكب وصفاً دقيقًا هارون بن يحيى– وكان قد سبى ونقل بحرًا إلى مدينة القسطنطينية وشاهد فى العاصمة البيزنطية موكب دينى مهيب للإمبراطور البيزنطى، مما أدهشه وجعله يسهب فى ذكر تفاصيله؛ لأنه أمر لم يكن له نظير فى مراسم الخلافة العباسية آنذاك– حيث كان الإمبراطور يأمر فى هذا الموكب أن يفرش الطريق من باب القصر الإمبراطورى إلى الكنيسة العامة فى وسط المدينة بالحصر(السجاد) وتنثر فوق هذه الحصر الرياحين والنباتات الخضراء، وتزين الحوائط على الجانبين بامتداد الطريق بالديباج ثم يخرج بين يديه عشر آلاف شيخ عليهم ديباج أحمر، مسبلة شعورهم إلى أكتافهم ثم يجئ خلفهم عشر آلاف شاب عليهم ديباج أبيض مشاة كلهم ثم يجئ عشرة آلاف غلام عليهم ديباج أبيض أخضر ثم يجئ عشرة آلاف خادم عليهم ديباج لون السماء فى أيديهم الطبرزينات(٥٠) المطلية بالذهب، ثم يجئ بعدهم خمسة آلاف خصى(٥١) أواسط عليهم ملحم خراسانى أبيض بأيديهم صلبان ذهب ثم يجئ بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر عليهم صدر مسيرة بأيديهم رماح وأترسه مطلية كلها ذهبًا، ثم يجئ مائة بطريق(٥٢) من الكبار عليهم ثياب الديباج الملون بأيديهم مجامر من ذهب يبخرون بها ثم يجئ اثنا عشر بطريقًا من رؤساء البطارقة عليهم ثياب منسوجة من الذهب(٥٣) فى يد كل واحد منهم قضيب من ذهب ثم يجئ مائة غلام عليهم ثياب مرصعة باللؤلؤ يحملون تابوتًا من ذهب فيه كسوة الملك لصلاته ثم يجئ رجل شيخ وبيده طشت وابريق من ذهب مرصعان بالدر والياقوت ثم يقبل الملك وعليه ثياب الأسكيمو وهى ثياب من البرسيم منسوج بالجوهر وعلى رأسه تاج وعليه خفان أحدهما أسود والآخر أحمر(٥٤) وخلفه الوزير وبيد الملك حق من ذهب فيه تراب وهو راجل كلما مشى خطوتين يقول الوزير بلسانهم ما تفسيره أذكروا

الموت، فإذا قال له ذلك وقف الملك وفتح الحق ونظر إلى التراب وقبله وبكى فيسير كذلك حتى ينتهى إلى باب الكنيسة ويخلع الإمبراطور ثيابه ويرتدى الثياب التى يدخل بها الكنيسة، ثم يؤدى شعائر الصلاة(٥٥)، فإذا انقضت نواميس شرعهم عاد إلى الهيئة الأولى إلى مقره وانصرف من الكنيسة"(٥٦).

وقد ذكر أيضًا أن الإمبراطور بعدما يدخل الكنيسة يأمر بإدخال أسارى المسلمين فينظرون إلى تلك الزينة والملك فيصيحون أطال الله بقاء الملك سنين كثيرة ثلاث مرات ثم يؤمر فيخلع عليهم، ويساق خلفه ثلاث جنائب شهب عليها سروج ذهب مرصعة بالدر والياقوت وجلال ديباج مرصعة أيضًا بمثل ذلك لا يركبها فيدخلونها إلى الكنيسة ولها لجام معلق يقولون إنه متى أخذت الدابة اللجام فى فمها انتصرنا على المسلمين(٥٧).

وبمقارنة ما ذكره هارون بن يحيى مع ما ذكره الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) فى كتابه عن المراسم البيزنطية De Cerimoniis Aulae Byzantinae يتضح أن هناك تشابهًا كبيرًا فى المعلومات لدى الاثنين عن المراسم البيزنطية(٥٨).

يلاحظ من خلال هذا الوصف لهارون بن يحيى: أن صلاة الإمبراطور البيزنطى هى جزء لا يتجزأ – وكما سبق القول- من حياته اليومية، وهى عادة قد ألفها الأباطرة فى الأحوال الطبيعية، يستثنى منها أوقات الحروب والتى يخرج فيها الإمبراطور بنفسه للقتال.

يظهر أيضًا أن الإمبراطور البيزنطى كان يخرج إلى الكنيسة فى أبهة وزينة مصحوبًا بكبار رجال دولته والبطارقة، وأعداد كبيرة من الخصيان والخدم والغلمان. وقد يتسأل البعض عن المبالغة فى الأعداد والزينة التى ذكرها هارون بن يحيى حتى يؤدى الإمبراطور شعائر صلاته؟

لكن نقول أن هارون بن يحيى لم يكن مبالغًا، ولربما قصد الإمبراطور إزاء هذه المراسم المتبعة فى الصلاة وما صحبها من الزينة والبهرجة، وكثرة أعداد الغلمان والخصيان من حوله أن يعطى انطباعًا يوحى بالقوة والعظمة التى عليها الإمبراطور البيزنطى، ومدينته، وهى معقل الكنيسة الأرثوزكسية الشرقية، ليرهب بذلك اعداءه، خاصة وأن مدينة القسطنطينية قد حوت العديد من الأجناس من اليونانيين والسلاف والبلغار والصرب والبشناق والروس والأنجليز والأرمن واللاتين والسريان والعرب والأتراك والفرس واليهود. حتى قال عنها البعض: "خلت الولايات من ساكنيها بينما أمتلات القسطنطينة باضداد الخلائق.. تغص بهم الشوارع والميادين... والمواطنون يتحركون وسط التجار القادمين من كل أنحاء العالم، صقالبة مغامرون... وصيادون من الأرمن ... والخزر والروس ومرتزقة من اللاتين"(٥٩). وهذا تبين فيما سبق ذكره من سماح الإمبراطور البيزنطى بإدخال أسارى المسلمين إلى صحن الكنيسة ليريهم مدى الزينة والقوة التى عليها ودولته. وحرصًا منه على إظهار هيبة الإمبراطورية أمام اعدائها والتدين الذى عليه وشعبه.

كما توضح هذه المراسم وغيرها كذلك مدى ثروة الإمبراطورية وقوة السلطة التى كان يتمتع بها الإمبراطور البيزنطى ومدى هيبته واجلاله فى قلوب رعاياه آنذاك.

الخـــاتمة

وعلى هذا وفى ضوء ما سبق ذكره يمكن القول:

- إن مدينة القسطنطينية –عاصمة الدولة البيزنطية– لم تكن مقرًا تركزت فيه إدارات الحكومة البيزنطية فحسب، بل كانت إلى جانب ذلك مدينة لها مكانتها الدينية بوصفها معقل الكنيسة الأرثوزكسية الشرقية، ومقر بطارقة تلك الكنيسة وزعمائها. وفوق هذا وذاك ظلت لقرون عديدة درعًا للإمبراطورية البيزنطية، وحصنًا حصينًا لحضارتها، لذلك لا عجب أن غدت محط أنظار كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى، فأمدتنا كتبهم بمعلومات مهمة عن المدينة وأسوارها وأبوابها، ومراكز الحياة الرئيسية فيها، ممثلة فى القصر الإمبراطورى وأسواقها وشوارعها، وأديرتها وكنائسها مثل كنيسة المقدسين، وكنيسة آيا صوفيا، تلك التى خصوها بكثير من العناية والوصف فذكروا أبوابها، وزينتها، وبطارقها وخدامها.

- يلاحظ أيضًا أن اهتمام المصادر العربية بهذه الكنيسة تحديدًا جاء نتيجة لعناية أباطرة بيزنطة بها، حيث كانت المكان الذى يقصدونه للصلاة فيه. ولأنه حدث مهم يظهر من خلاله الصفة الدينية التى يبدو عليها الإمبراطور ، والدور الرئيسى الذى يلعبه رجال الدين فى حياة البلاط البيزنطى.

- ظهر من البحث أن صلاة الإمبراطور داخل كنيسة آيا صوفيا تبعها مراسم معينة، شهدها من شهدها بنفسه، ونتاقلها الباقون، من لم يشاهدوها. فكانت صورة حية من صور حياة الإمبراطور البيزنطى الدينية، ومدى علاقته بالكنيسة البيزنطية.

- تبين من البحث مدى حرص أباطرة بيزنطة على تأدية الصلاة داخل كنيسة آيا صوفيا بطريقة منتظمة.

- اتضح أيضًا كثرة استخدام الغلمان والخصيان من الأتراك والخزر فى البلاط البيزنطى خاصة فى المراسم الإمبراطورية كالصلاة والتتويج.

- ألقى البحث أيضًا الضوء على ملابس الإمبراطور البيزنطى، وهى قسمين، قسم يرتديه أثناء خروجه من القصر الإمبراطورى فى طريقه إلى الكنيسة، وهو عبارة عن ثياب من الإبرسيم منسوجة كلها بالذهب وعلى رأسه تاج، وعليه خفان أحدهما أسود والأخر أحمر. وقسم أخر يرتديه أثناء تأديته لشعائر الصلاة داخل الكنيسة، وهذه يحملها الغلمان فى تابوت من ذهب، خصيصًا لهذا الغرض.

- اتضح من البحث أن الملابس التى يرتديها الإمبراطور البيزنطى، تختلف كل الإختلاف عن ملابس كبار رجال الدولة، أو الخصيان والخدم، من حيث الشكل واللون، فمثلاً كبار رجال الدولة من الشيوخ يرتدون الديباج الأحمر، أما البطارقة وهم من كبار القوم أيضًا يلبسون الديباج الملون. أما عن البطارقة من رجال الدين فيرتدون ثيابًا منسوجة بالذهب. وبالنسبة للغلمان فمنهم من يرتدى الديباج الأبيض، ومنهم من يرتدى الديباج الأخضر. وهناك جزء من الغلمان عليهم ثياب مرصعة باللؤلؤ يحملون تابوتا من ذهب فيه كسوة الملك لصلاته. أما عن الخدم فيرتدون الديباج الملون بلون السماء.

- وأخيرًا يمكن القول أن المصادر العربية بما ذكرته عن كنيسة آيا صوفيا ومراسم صلاة الإمبراطور البيزنطى، إنما عكست صورة الآخر. وقدمت جانب من جوانب الحياة الدينية التى كان عليها المجتمع البيزنطى عامةً، وأباطرة بيزنطة بصفة خاصة.

الملاحق

شكل رقم (١)

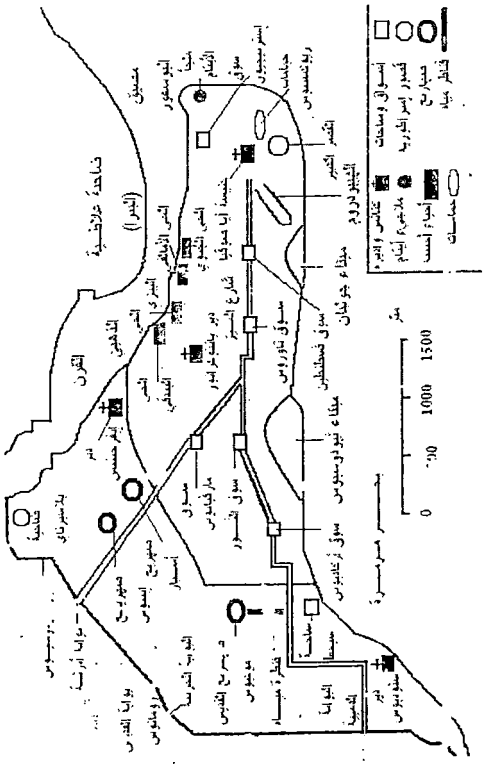

خريطة توضح موقع الكنائس البيزنطية وكنيسة آيا صوفيا، والقصر الإمبراطورى الكبير وبعض معالم مدينة القسطنطينية. أنظر: محمد زايد عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

شكل رقم (٢)

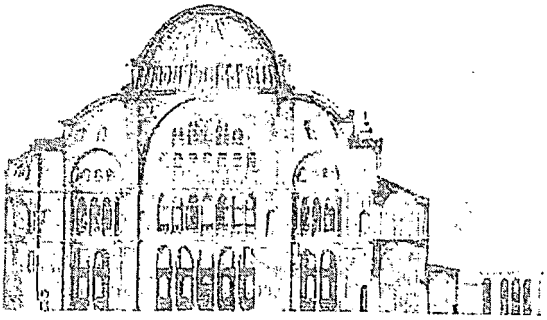

عبارة عن رسم تخطيطي لكنيسة آيا صوفيا

شكل رقم (٣)

صورة لكنيسة آيا صوفيا والتي تعرف الآن باسم متحف آيا صوفيا باستانبول

شكل رقم (٤)

رسم فسيفسائى بكنيسة آيا صوفيا يصور المسيح جالسًا وحاملاً كتاب بيده منقوش عليه باللغة اليونانية" السلام عليكم أنا نور العالم"

شكل رقم (٥)

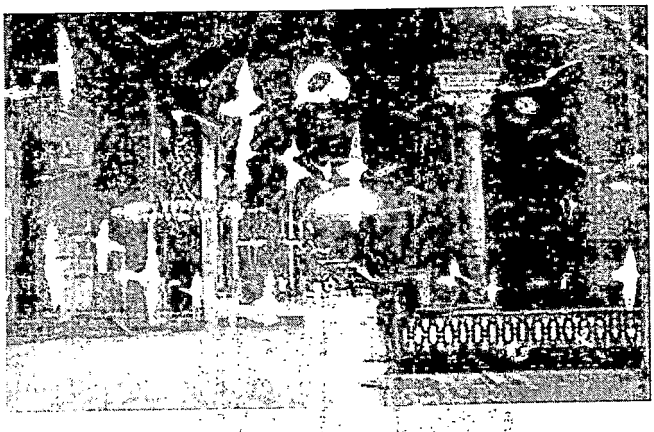

صورة داخلية لأحد الأروقة داخل كنيسة آيا صوفيا

شكل رقم (٦)

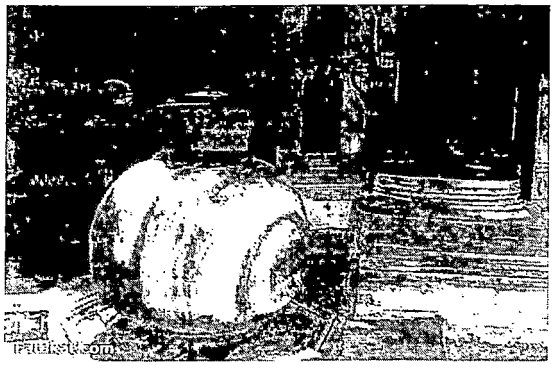

صورة لأحد الجرارت الرخامية التى توجد داخل كنيسة آيا صوفيا والتى كانت تحتوى على الماء المقدس

شكل رقم (٧)

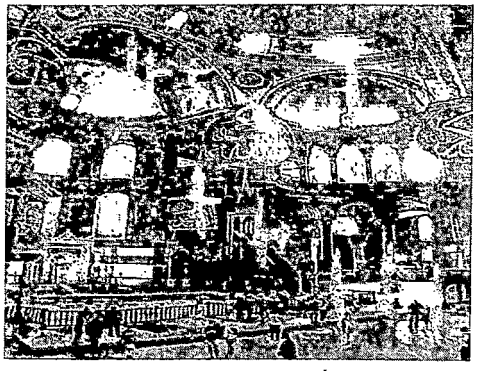

صورة لكنيسة آيا صوفيا من الداخل بعدما تحولت إلى مسجد

شكل رقم (٨)

كاهن بيزنطى من القرن العاشر الميلادى، يرتدى غلالة مطرزة بلوحات بيضاء وسوداء على الصلبان، وله **camisia** طويلة.

Tierney Tom: Byzantine Fashions (New York, 2002), P. 34.

هوامش البحث

(١) كبير الحجاب **Praepositus Sacri Cubiculi**: هو الشخص الملازم للإمبراطور البيزنطى، وقد ظهرت هذه الوظيفة (أى وظيفة كبير الحجاب) بهذا اللقب فى عهد الإمبراطور قسطنطين الأول Constantine I (٣٠٦-٣٣٧م)، ولكن اختصاصاتها كانت موجودة قبل عهد دقلديانوس(٣٠٦-٣٣٧م)، وكان يتولاها حاجب يحمل لقب كوبيكولو Cubiculo، وابتداء من عهد قسطنطين ارتفع شأن كبير الحجاب حتى أصبح من أرفع المناصب فى القصر الإمبراطورى، رغم أن شاغله كان من الخصيان. وفى البداية كانت اختصاصات هذه الوظيفة إدارة أقسام الخدمة المختلفة والإشراف على العدد الكبير من الحجاب العاملين فى القصر، فضلاً عن خدمة الإمبراطور شخصيًا. ولقد تمتع شاغل هذه الوظيفة بنفوذ كبير وصلاحيات واسعة ليس بسبب أهمية المسئوليات التى تولاها، ولكن بسبب ملازمته للإمبراطور وتمكنه ومداهنته. وكان كبار موظفى الحكومة يخشونه لقربه من أذن الإمبراطور وتأثيره الشخصى عليه، وإن كانوا يكنون له الكراهية؛ لأنه نافسهم وتدخل فى شئونهم. أنظر: وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع" ضمن كتابه: بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٤م)، ط١، ص ٤٢-٤٣.

(٢) **ضباط الحرس**: يطلق عليهم أحيانًا Protectores، وأحيانًا أخرى جنود القصر Domestici، أو التاجماتا وهم مجموعة من الفصائل تكون كل فصيلة تحت إمرة الدُمُستق Domesticus وهو رئيس حرس القصر، والجميع يخضعون لإشراف كبير الوزراء Magister Officiorum وهو رئيس الإدارات كلها، تكون مهمتهم حراسة البلاط الإمبراطورى، وأحيانًا يشاركون اشتراكًا فعليًا فى الحرب إذا تولى الإمبراطور قيادة المعركة بنفسه، وكانوا يرتدون زيًا أبيضًا واحدًا. وكانوا صفوة الجند المختارين

بعناية وتدفع لهم أجورًا عالية نظير عملهم كحرس شخصى للامبراطور. أنظر: ابن خرداذبة، "أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت: حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م"، المسالك والممالك، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى، ت: ٣٢٠هـ/٩٣٢م (ليدن:١٣٠٦هـ، بريل: ١٨٨٩م) ، ص ١١٢؛ الهمذانى،"أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن فقيه الهمذانى، ت:٢٩٠هـ/٩٠٣م"، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادى (بيروت:١٩٩٦م)، ص ١٩١.

CF: Bury.J.B; The Imperial Administrative system in the Ninth Century (London, 1911), pp.47-48,106-107; Haldon.J.F; Byzantine Praetorians: an Administrative, Institutional and Social Survey of the Opsikion and Tagmata,C.580-900 (Bonn,1984),pp.119ff.

؛ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس، محمود يوسف زايد (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م)، ص ١٤٨، ١٦٩، ١٧٤؛ طارق منصور، "الوظائف والألقاب البيزنطية بين المفهوم العربى والواقع البيزنطى"، فى كتابه: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم (دراسات وبحوث) (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠١٥م)، ص١٦٢هامش ١؛ ص١٧٠-١١٢؛ طارق منصور، "الحرس الإمبراطورى البيزنطى (من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادى) ، فى كتابه: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٨٣.

(٣) **القصر الإمبراطورى:** هو سرة مدينة القسطنطينة، وسكن الإمبراطور وحاشيته، ومركز الحكم. كان يشغل رقعة واسعة من الأرض على ضفاف بحر مرمرة، ويقع بين ميدان السباق وكنيسة آيا صوفيا، ويشغل الركن الجنوبى الشرقى من المدينة، وقد احتوى من داخله على بيت مال الإمبراطور ومجلس طعامه وبهو المآدب الرسمية

وقاعات الاجتماعات وصالات لاستقبال السفراء. وقد أطلق على هذا القصر اسم القصر الكبير أو قصر بوكليون Boukoleon، وقد سمى بذلك نسبة إلى مرفأ القصر المسمى بذلك الاسم، حيث نصب تمثالاً ضخمًا لثور يقاتل أسدًا، وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المبانى المتجاورة شيدت بأيدى أباطرة مختلفين. وقد ظل هو القصر الإمبراطورى التى تدار دفة الحكم منه. وقد حوى هذا القصر على ثلاثون كنيسة ما بين صغيرة وكبيرة. عنه أنظر: ابن رسته، ""أبو على أحمد بن عمر، ت: بين عامى ٣١٠- ٣٣٧هـ/٩٢٢-٩٤٨م"، كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع (ليدن: ١٨٩١م)، ص ١٢٠ ، ١٢٢؛ الإدريسى، "أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحموى، ت:٥٦٠هـ/١١٦٤م"، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (روما: ١٩٧٧م)، ص ٨٠١ - ٨٠٢.

CF: Magdalino .P; "Manuel Komnenos and the Great Palace"Byzantine and Modern Greek studies (Oxford, 1978), 4, PP.101-114.

؛ ستيفن رنسيمان: الحضار البيزنطية، ترجم: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م)، ط٢، ص ٦٣ ص ٢٢٦-٢٢٧؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين" بحث منشور بمجلة المؤرخ المصرى، قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة، العدد الرابع، يوليو ١٩٨٩م، ص ١١٥-١١٦؛ طارق منصور، "القسطنطينية فى الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م دراسة تحليلية للروايات الصليبية عن مدينة قسطنطين"، فى كتابه: بيزنطة: مدينة الحضارة، ص ٢٤، هامش ٤؛ طارق منصور، "المآدب الإمبراطورية ومراسمها فى عهد الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦-٩١٢م)"، فى كتابه: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم،

ص ٦٢-٦٤؛ يوسف سمير كامل بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها فى الكتابات اللاتينية القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ- كلية البنات جامعة عين شمس، ٢٠٠٧م، ص ٧٥، ص ١٧٩-٢٠٠.

(٤) Rice.T.T; Everyday Life in Byzantium (London, New york,1967),p.85.

(٥)ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١١٦.

(٦) **قسطنطين Constantine:** هو فلافيوس فاليريوس كونستانيتوس خلوروس وهيلينا، وقد ذكرته المصادر العربية باسم قسطنطين بن قسطنس، ويعرف بأمه هيلانى وإليها ينسب. من أعماله اعترافه بالديانة المسيحية، وتأسيسه لمدينة القسطنطينية عام ٣٣٠م. وافته المنية على مقربة من نيقوميديا يوم ٢٢ مايو ٣٣٧م. عنه أنظر: القزوينى، "زكريا بن محمد، ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م"، كتاب آثار البلاد وأخبار العباد (جوتين: ١٨٤٨م)، ص ٤٠٦؛ أ.دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق: حسن حبشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ص ١٣٠-١٣٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث يناير ١٩٨٩م ص ١٥٨.

(٧) **كان قسطنطين** قد شرع فى بناء القسطنطينية عام ٣٢٤م، وأتم بنائها وافتتحها فى ١١ مايو ٣٣٠م، وأطلق عليها اسم روما الجديدة تشبيهًا لها بروما القديمة، ولكن رعاياه فضلوا أن يطلقوا عليها اسم القسطنطينية نسبة إلى مؤسسها. أنظر:المسعودى، "أبو الحسن على بن الحسين، ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م"، التنبيه والإشراف (ليدن: ١٩٦٧م)، ص ١٣٨ - ١٣٩ ؛ أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر (القاهرة: ١٩٥٣م)، ص ١٦-١٧؛ حسنين محمد ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة: ١٩٨٣م)، ص ٣١-٣٢.

(٨) Ciggaar.K; Western Travellers to Constantinople, the West and Byzantium,962-1204 :Cultural and Political Relation (Leiden,1996),p.48 ؛ طارق منصور محمد، القسطنطينية، ص٧.

(٩) حيث كانت تحوى رفات سبعة من القديسين. أنظر: روبرت كلارى، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ترجمة وتقديم: حسن حبشى (القاهرة: ١٩٦٤م)، ص ١٢٩؛ طارق منصور، القسطنطينية، ص ٧.

هذا وقد أعادت ثيودورا Theodora زوجة الإمبراطور البيزنطى جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م) بناء تلك الكنيسة على نحو يضارع كنيسة آيا صوفيا فى الفخامة والبهاء. أنظر: بريس .ف. ن، "القسطنطينية فى عصر جستنيان"، مقال بموسوعة تاريخ العالم، المجلد الرابع، ترجمة: عبد الفتاح صدقى (القاهرة: د.ت)، ص ٣٢٥؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٠٤ هامش ١٦٩.

(١٠)**ابن خرداذبة:** هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة الخرسانى عاش فيما بين ٢٠٥-٢٨٠هـ، عرف بالخرسانى؛ لأنه من خراسان، ولكنه تعلم وترعرع فى بغداد، فهو من كبار علماء الجغرافية فى الحضارة العربية الإسلامية، وله نتاج جيد فى معظم فروع العلوم الاجتماعية. نال حظوة الخليفة العباسى المعتمد: فولاه البريد بفارس. درس موسيقى والأدب على يد اسحق الموصلى. أهتم بدراسة علم الأنواء، وألف كتاب أسماه كتاب الأنواء، والتاريخ أيضًا، فكتب "جمهرة أنساب الفرسان"، وألف كتاب "أدب السماع" وكتاب فى الطبيخ. استخدم ابن خرداذبة معظم معلوماته الجغرافية من كتاب المجسطى لبطليموس التى ضمنها كتاب المسالك والممالك. والجدير بالذكر أن ابن خرداذبة هو أول من استعمل مصطلح المسالك والممالك، ومن بعده استخدمه معظم علماء العرب المسلمين. ويعد كتاب المسالك والممالك موسوعة موثقة فى علم

الجغرافية، فقدم معلومات بالغة عن الدولة العباسية، والمسافات بين البلاد، وكروية الأرض، وكذلك مدينة القسطنطينية والتى تحدث عنها بشكل طيب وعن أسوارها وأبوابها وبطاركها وكبار موظفيها، وعطاء الجند، وأسواقها وكنائسها. وقد استقى معلوماته ممن لهم دراية ومعرفة بالبيزنطيين، وعلى رأسهم مسلمة بن أبى مسلم الجرمى، الذى تناقل مادته جميع الجغرافين المتأخرين حتى القرن ١٣م. أنظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٩-١١٢؛ كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم (الخرطوم: ١٩٦١م)، ص١٥٥-١٥٨؛ على بن عبد الله الدفاع، رواد علم الغرافية فى الحضارة العربية والإسلامية (المملكة العربية السعودية، مكتبة التوبة، ١٤١٠هـ)، ص ٧٥-٧٧.

(١١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١١٥.

(١٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١١٥؛ وكذلك: ابن الوردى، "سراج الدين أبى حفص عمر، ت: ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب (مصر: ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)، ص ٧٨ ؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١٣٤.

(١٣) يوسابيوس القيصرى، حياة قسطنطين العظيم، تعريب: القمص مرقس داود (القاهرة: ١٩٧٥م)، ص ١٢٩.

CF: Van Millingen (Alexander,; Byzantine Constantinople the walls of the city and adjoining historical sites (London,1899),p.35; Vasiliev (A.A);"Les Voyageurs du Moyen Ages a Constantinople: dans, Melanges Ch. Diehl. Vol.1, pp.293-298 (Paris, 1980),p.294; Diehl (CH) ;Constantinople (Paris,19245), pp.69-88.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١٣٤.

(١٤) هـ. سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: السيد الباز العرينى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ص ١٥٥.

(١٥) **مثل كنيسة القصر** الإمبراطورى الصغيرة المعروفة باسم كنيسة عذراء فاروس، وكنيسة سان مارى. أنظر: روبرت كلارى، مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣٣؛ طارق منصور، القسطنطينية، ص ٧.؛ وعن هذه الكنائس. أنظر:

Ebersolt (Jean): Sanit- Sophia de Constantinople, Etudes de topographie d'aprés les cérémonies (Paris,1910),pp.1-21; C.Mango and J.Parker,"A Twelfth century Description of St.Sophia", Dumbarton Oakas Papers.14(1960),pp.233-245; Van Millingen (Alexander); op.cit, pp.35ff; Diehl (ch): op.cit, pp.68-68.

؛ هـ. سانت موس، مرجع سابق، ص ١٥٥؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٨٥.

؛ ومن الجدير الذكر أنه كان بالقسطنطينية ما يمكن أن نطلق عليه اليوم اسم دليل المسافر، وهو عبارة عن قائمة بكنائس العاصمة البيزنطية الأكثر أهمية وذخائرها المقدسة، وكان يحوى بعض القصص الخرافية المتصلة برفات القديسين والأيقونات الموجودة بتلك الكنائس. وقد ترجم هذا الدليل إلى اللاتينية وشاع فى الغرب الأوربى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى. عنه أنظر:

K.Ciggaar,"Une description de Constantinople traduite par un pélerine anglais du XIIe siècle", Revue des Études Byzantine, 34(Paris, 1976), PP.211-267.

؛ طارق منصور، القسطنطينية، ص ٧-٨.

(١٦) **ابن بطوطة:** هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجى، يكنى بأبى عبد الله، ويلقب بابن بطوطة، عرف باللواتى نسبة إلى قبيلة لواته البربرية، وكذلك يسمى بالطنجى؛ لأنه ولد فى مدينة طنجة التى تقع على مضيق جبل طارق بشمال المغرب، عاش أبو عبد الله بن بطوطة فيما بين ٧٠٣-٧٧٩هـ، احتل مكانة مرموقة فى مجال القضاء، بعدما درس العلوم الشرعية واللغوية. زار كثير من البلدان مثل روسيا وتركستان والهند والصين وسيلان وأندونيسيا والقسطنطينية، تلك التى زارها فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى/ الثامن الهجرى، وقد مكث بها شهرا وستة أيام، واحتفى به خلالها الإمبراطور البيزنطى وخلع عليه، وأمر له بفرس، وقد تحدث ابن بطوطة عن المدينة ووصف كنيستها العظمى آيا صوفيا، والأديرة والزوايا التى تنتشر حول المدينة والرهبان والقاضى وأسواق القسطنطينية. عنه أنظر: ابن بطوطة، "محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى، ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م"، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت: دار الكتاب اللبنانى، د.ت)، ص ٢٣٢ – ٢٣٧؛ نورمان بينز، مرجع سابق، ص ٣٦٠-٣٩١؛ نقولا زيادة، جغرافية والرحلات عند العرب (بيروت: ١٩٦٢م)، ص ١٨٧ – ١٩٠؛ شوقى ضيف، الرحلات (القاهرة: ١٩٨٧م)، ص ٩٥- ٩٨؛ على بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية، ص ٢٠٥-٢١١.

(١٧) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٣٣٦ ؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٨٥.

(١٨) ابن رسته، مصدر سابق، مج ٧، ص ١٣١؛ الحميرى، "أبو عبد الله محمد بن محمد عبد المنعم، ت، ٩٠٠هـ/١٤٩٤م"، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: ١٩٧٥م)، ٤٨٢ ؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٨٥.

(١٩) ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة، مج ٧، ص ١٣١-١٣٢؛ الحميرى، المصدر السابق، ص ٤٨٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الثالث، ص ١٨٥.

(٢٠) روبرت كيلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٢.

(٢١) **الحميرى:** هو محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى، يكنى بأبى عبد الله، ويلقب بابن عبد المنعم الحميرى، وأيضًا الشيخ العمدة، من علماء القرن التاسع الهجرى، ويقال أنه توفى سنة ٨٦٦هـ تقريبًا. ولد بمدينة سبتة الأندلسية، تلقى تعليمه بها، وعمل مدة بوظيفة توثيق العقود، اشتهر بلعبة الشطرنج، ويعد من علماء العرب المسلمين فى تأليف الجغرافى، له كتاب مميز وهو الروض المعطار فى خبر الأقطار. وقد استفاد من أبو زيد أحمد بن سهل البلخى، وأبو اسحق إبراهيم الاصطخرى، وابن حوقل، وياقوت الحموى وغيرهم. استطاع أن يقدم لنا معارف جغرافية ممتازة مستندًا على رحلاته ومشاهداته السمعية والمصادر الموثوق بها. أنظر: الحميرى، المصدر السابق، المقدمة؛ على بن عبد الله الدفاع، روائع العلم الجغرافية، ص ٢٢٧-٢٣١؛ أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة، الحميرى محمد بن عبد المنعم (توفى سنة ٩٠٠هـ) وكتابه: الروض المعطار فى خبر الأقطار دراسة تاريخية للأوضاع الاقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة فى التاريخ- كلية

الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٣م، ص ٤ وما بعدها.

(٢٢) الحميرى، المصدر السابق، ص ٤٨٣؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العد الثالث، ص ١٨٤ -١٨٥.

(٢٣) **ثيودوسيوس الثانى Theodosius II:** تولى الحكم على إثر وفاة أبيه أركاديوس Arkadouis فى يناير ٤٠٨م، وعمره لم يكن قد جاوز السابعة، فبقى فى بداية الأمر تحت وصاية انتيميوس Anthemius وزير أبيه، ثم انتقلت الوصاية إلى أخته بولخيريا Pulcheria. انصرف ثيودوسيوس للاطلاع وقنع بترك أمور الحكومة فى أيدى وزرائه، وفى عهده تمكن من صد الفرس، ونجح الوندال فى هزيمة جيشه واحتلوا شمال إفريقية. ترك ثيودوسيوس بصماته الواضحة فى العلم والقانون فأنشأ عام ٤٢٥م مركزًا جديدًا للتعليم العالى، وأشرف على اصدار مجموعة شاملة تضمنت جميع القرارات والمراسيم الامبراطورية الصادرة منذ عهد قسطنطين الأول، فصدر فى سنة ٤٣٨م ما يعرف بالمجموعة القانونية الثيودوسيوسية Codex Theodosianus. انظر: أ. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٩٨-١٠٠.

(٢٤) **جستنيان الأول Justinian:** اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٢٧م، وهو من مواليد سنة ٤٨٣م، وكان اسمه بيترس سابيوس Petrus Sabbatius ثم جعله فلافيوس جستنيانوس Flavius Justinianus، وقد تبناه خاله الإمبراطور جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) وذلك ما أن مات فى أغسطس سنة ٥٢٧م، حتى خلفه جستنيان الأول. ومن انجازاته استرداد ما فقدته الإمبراطورية البيزنطية من ولايات غربية، وما أصدره من تشريعات وانشائه الحصون وتشييده الكنائس. عنه

أنظر: بروكبيوس، التاريخ السرى القرن السادس الميلادى جانب من جوانب حياة الإمبراطور جوستنيان وزوجته ثيودورا وقائده المغوار بليزاريوس، وزوجته انطونينا صورة سيئة، ترجمة: صبرى أبو الخير سليم (القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاتماعية، ٢٠٠١م)، ط١، ٩١ وما بعدها؛ أ.دونالد نيكول: معجم التراجم، ص ١٠٤ – ١٠٦ ؛ أسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان (دة: دار المجمع العلمى، ١٩٧٧م)، ص١١ وما يليها.

(٢٥)**ثورة نيقا:** ارتبطت هذه الثورة منذ بدايتها بحزبى الخضر والزرق، إذ أنه بعد تولى جستنيان **Justinian** الحكم قد أصدر أوامره باخماد كل اضطراب يصدر عن هذين الحزبين، فقام بإعدام سبعة من الخضر والزرق اتهموا بالقتل فى أحد الاضرابات، فقدم الحزبان الالتماسات إلى الإمبراطور بالعفو، فقوبل طلبهما بالرفض، مما دعى الحزبان إلى الإتحاد. وعندئذ بدأ الخضر والزرق مستخدمين كلمة السر "أقهر Nika"، وهى الفتنة المعروفة باسم ثورة نيقا، وانضموا بثورة انضم إليها سكان الريف، وكثير من النبلاء، وإزاء هذه الثورة لم يجد جستنيان بدا من الفرار و ـك حكمه لولا خطاب روجته ثيودورا، حيث قالت له: "على الرغم من أن السلامة لن تتحقق إلا بالفرار، فلن أركن إليه، وذلك أن من يلبسون التاج ينبغى ألا يعيشوا بعد أن يفقدوه، ولا أحب أن أعيش حتى أرى اليوم الذى لا يشار فيه الرجال باسمى كإمبراطورة لهم، فانج بنفسك إن شئت يا قيصر، فإن لديك المال والسفن فى انتظارك والبحر خال من كل حرس، أما أنا فإنى باقية هنا عملا بالمثل القديم القائل بأن الرداء الأرجوانى هو كفن جميل"، وتلى ذلك اتخاذ تدابير صارمة وصارت مذبحة مروعة بميدان السباق راح ضحيتها ما يزيد عن ثلاثين ألفا. **عن هذه الثورة.** أنظر: بروكبيوس، مصدر سابق، ص ١٢٩؛ هـ. سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، ص ١٥١-١٥٣؛ أ. دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٠٥؛

رأفت عبد الحميد، "الثورة الشعبية فى القسطنطينية سنة ٥٣٢" فى كتابه: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧م)، ط١، ص ٢٠٠-٢٤٩.

(٢٦) **انتيموس الترالى Anthemius of Tralles**: أغريقى شرقى، عهد إليه ببناء كنيسة آيا صوفيا، عرف بالرياضى والمهندس، وقد اشتغل أبوه ويدعى ستيفن بالطب، والأرجح أن انتيموس قد درس الحساب والهندسة. وقد توفى حوالى سنة ٤٣٥م. عنه وعائلته أنظر:

Agathias; The Histories , trans, J.D.Frendo (New york,1975),p.141; Scarborough.J;"Alexander of Tralles", The Oxford Dictionary of Byzantium,I,(Oxford,1991),p.58; Duffy.J; "Byzantine Medicine in the Sixth and seven centuries: Aspects of Teaching AND Practice", Dumbarton Oaks papers,38(1984)21-27, esp.26.

؛ أ. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٠٥ ، ١٨٦.

(٢٧) **إيزيدور المليتى Isidore of Miletus**: مهندس إغريقى شرقى من أهل ملطية، عهد إليه ببناء كنيسة آيا صوفيا مع مهندس انتيموس الترالى. أنظر: أ. دونالد نيكول، المرجع السابق، ص ١٠٥؛ نورمان بينز، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(28) Cameron. A; Procopius and the Church of S.Sophia", The Harvard Theoological Review,58 (Cambridge,Mass,1965), pp.161-163.

(٢٩) أومان ، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣٠) CF: Diehl (Ch); op.cit, pp.48-49, 54-55.

؛ أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٥-٨٦؛

نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف زايد (القاهرة: ١٩٥٧م)، ص ٢٤٠؛ إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الأول، ترجمة: محمد على أبو درة (القاهرة: ١٩٦٩م)، ص ٤٣٣-٤٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، مرجع سابق، العدد الثالث، ص ١٨٤-١٨٥ هامش ١٧١.

(٣١) طارق منصور، القسطنطينية، ص ٦-٧.

(٣٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١٣٣.

وعن وصف هذه الكنيسة وما بها من الزخارف. أنظر: هـ. سانت موس، مرجع سابق، ص ١٥٣-١٥٥.

(٣٣) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١٣٣.

(٣٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١٣٣.

(٣٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١٣٣.

(٣٦) **هارون بن يحيى:** هو أحد الجغرافيين المسلمين، كان قد وقع فى أسر جماعة من أهل أطاليا Attaleia بآسيا الصغرى، وساقوه إلى القسطنطينية، وقضى بها بعض

الوقت، وقيل أنه وصل إليها فى عهد الإمبراطور البيزنطى باسيل الأول Basil I(٨٦٧-٨٨٦م)، وقيل فى عهد الإسكندر (٩١٢-٩١٣م)، وقد قدم هارون بن يحيى وصفًا طيبًا لمدينة القسطنطينية والقصر الإمبراطورى وكنيسة آيا صوفيا والاحتفالات الدينية، وموكب الإمبراطور، وقد حفظ لنا رواية هارون بن يحيى هذه الجغرافى ابن رسته. أنظر: ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة، مج ٧، ص ١١٩-١٣٠. **وعن هارون بن يحيى.** أنظر أيضًا: كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب، ص ١٣٥.؛ طارق منصور محمد، "هارون بن يحيى مصدر من مصادر التاريخ البيزنطى"،حولية كلية التربية للبنات بالطائف،عدد ٦ (١٤٢٥-١٤٢٦هـ)،ص ٥١.

Jean-Charles Ducéne; "Une deuxiéme version de la relation d,Hārūn ibn Yahyā sur Constantinople",Der Islam 82/2(2005),p.241-255.

(٣٧) ابن رسته، المصدر السابق، مج ٧، ص ١٢٥-١٢٦؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣٨) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٤.

(٣٩) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٤.

(٤٠) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤؛ هـ. بانت موس، ميلاد العصور الوسطى، ص ١٥٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٤-١١٥.

(٤١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥؛ هـ. سانت موس، المرجع السابق، ص ١٥٤؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٥.

(٤٢) **المسعودى:** هو على بن الحسين بن على المسعودى، ويكنى بأبى الحسن، ويلقب بكل من المؤرخ، وبلينوس الشرق. ولد فى بغداد وتوفى فى القاهرة سنة ٣٤٩هـ، وهو من ذرية الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود، فهو ينحدر من عائلة عربية أصيلة، اشتهر برحلاته الكثيرة، فهو من كبار علماء الجغرافية، زار معظم أجزاء العالم الإسلامى، فكان المسعودى عبر رحلاته الطويلة واعيًا، سجل ما شاهده وما سمعه وما قرأه. بهذا خرجت مؤلفاته كاملة على شكل دائرة معارف ليس فقط فى الجغرافية، ولكن فى معظم فروع المعرفة بلغت مؤلفاته ٣٥ مؤلفاً فى علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة، ومنها كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، وهو معلمة جغرافية؛ لأنه دون ملاحظاته ومشاهداته التى حصل عليها من زياراته لمعظم بلدان العالم من الهند إلى المحيط الأطلنطى، ومن البحر الأحمر حتى بحر قزوين، وكذلك الصين وأرخبيل الملايو، وقد تميز نتاج المسعودى بالأصالة والدقة والأمانة العلمية، وعلى كل فالمسعودى أحد الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين زاروا القسطنطينية إبان القرن العاشر الميلادى/ الرابع الهجرى، وتحدث عن تأسيس المدينة وأباطرتها ومعالمها الكنسية. عنه أنظر: على بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق ص ١٠٤-١١٧. **وعن التنظيم الكنسى داخل كنيسة آيا صوفيا والذى وضع دستوره مجلس ترولو الذى عقد فى عام ٦٨١م. أنظر:** ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م)، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤٣) **الأسقف: هو نائب البطريرك أو البطرك.** أنظر: ابن خلدون، "عبد الرحمن بن خلدون، ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م"، تاريخ ابن خلدون (بيروت: ١٩٨٤م)،ج٢، ص ١٧٤-١٧٥؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: ١٩٨٤م)، ص٢٣٣؛ طارق منصور، الوظائف، ص ١٣٥.

(٤٤) المسعودى، "أبو الحسن على بن الحسين بن على، ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م"، أخبار الزمان ومن إبادة الحدثان وعجائب البلدان، تحقيق: عبد الحميد أحمد حنفى (القاهرة: ١٩٣٨م)، ص ٧٦؛ ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٢٦-١٢٧؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٨٦.

(٤٥) **أشار المسعودى إلى البطريرك بالبطرك الأكبر وبطريركس.** أنظر: المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعى الرفاعى (بيروت: ١٩٨٩م)،ج١، ص ٣١٣؛ وكتابه: التنبيه والإشراف، ص١٤٢-١٤٣؛ وأنظر كذلك: ابن الأثير، "أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين، ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"، الكامل فى التاريخ (بيروت: ١٩٩٥م)، ج ٩، ص ص ١٢٧؛ أبى شامة، "عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين، ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٧م" الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق (بيروت: ١٩٩٧م)،ج٣، ص ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٥٠؛ القلقشندى، "أبو العباس أحمد بن على، ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م"، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف على طويل (دمشق: ١٩٨٧م)، ج٥، ص ٤٧٣.

(٤٦) المسعودى، التنبيه والإشراف، ص ١٤٢-١٤٣؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الثالث، ص ١٨٦.

(٤٧) المسعودى، التنبيه، ص ١٧٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد لثالث، ص ١٨٦؛ طارق منصور، الوظائف والألقاب، ص ١٣٤-١٣٥.

(٤٨) المسعودى، التنبيه، ص ١٧٢ - ١٧٣؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد لثالث، ص ١٨٦.

(٤٩) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص ٢٥١-٢٥٢؛ ياقوت الحموى، "ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م"، معجم البلدان (بيروت، ١٩٨٤م)، ج٤، ص ٣٩١؛ طارق منصور، الوظائف والألقاب، ص ١٣٤.

(٥٠) مجير الدين العليمى، الأنس الجليل، تحقيق: عدنان يونس نباته(عمان، ١٩٩٩م)ج١، ص ٢٥٥؛ طارق منصور، الوظائف، ص ١٣٤.

(٥١) **الطبرزينات:** مفردها الطبرزين وهو الفأس. أنظر: البكرى، "أبو عبيد البكرى، ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م"، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن على الحجى (بيروت: ١٩٦٨م)، ص ١٩٦ هامش ٣؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل،المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٩ هامش ٥٢.

(٥٢) **الخصى أو الخصيان أو الأغوات:** عرفت عادة أقتناء الخصيان عند الفرس و اليونان والرومان والبيزنطيون وعند الحكام المسلمين، في الدو ة البيزنطية كانت عملية الإخصاء تتم إما بإزالة الخصيتين أو ربطهما. وكان هناك سوق ضخمة لتصدير الخصيان للإمبراطورية البيزنطية، وقد لعبوا دورًا كبيرًا سواء في الكنيسة أو الجيش أو الإدارة، مثل ساموناس Samonas العربى. وقد استخدم العديد منهم في الخدمة داخل القصور الإمبراطورية والبعض الأخر للخروج في المواكب الاحتفالية للإمبراطور. عنهم أنظر:

Les novelles de Leon VI le sage,ed.p.Noailles and A.Dain (Paris,1944),233-60 ; Tougher.S, The Reign of Leo VI (886-912)

Leiden, New york, Kőln, 1997), p.198ff; Romily J.Jenkins," The Flight of Samonas" Speculum 23/2(Apr.1948), pp.217-235 ; Nikephoros the Priest, The Life of St. Andrew the Fool, trans. L. Rydén, Studia Byzantina Upsaliensia, vol. 4 (I-II), Uppsala, 1995. ch. 17, P.81.

CF : Tougher (Sh. P) : Byzantine Eunuches " In : Women , Men , and Eunuches ,ed L.james , pp. 168 – 183 ; Schaus . M. : " Women and gender in medieval Europe : an encyclopedia Routledge , 2006 , P. 264 ; Romily. J.Jenkins,"The Flight of Samonas", Speculum,23/2(Apr.1948),pp.217-235.

؛ طارق منصور محمد، المآدب الإمبراطورية، ص ٧٠؛ محمد زايد محمد عبد الله، طبقة العامة فى الإمبراطورية البيزنطية خلال العصر البيزنطي الأوسط (من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الفيوم ٢٠٠٩م، ص ٧٣؛ مصطفي محمود محمد، نسوة العرش البيزنطى فى عصر أسرة كومنينوس (١٠٨١-١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ – كلية الآداب بقنا- جامعة جنوب الوادى، ٢٠١٢م، ص ٨٤، هامش ٣.

(٥٣) **البطارقة:** هو لقب شرفى وليس وظيفة ويعنى النبيل أو الشريف وهو من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعة جدًا والتى يحمل صاحبها شارة عبارة عن ألواح (صولجان) محفورة من العاج، وقد أسس الإمبراطور قسطنطين الأول فى البداية طبقة تحمل اسم البطارقة ظلت قائمة حتى العصر البيزنطى المتأخر، وكان يحمل هذا اللقب حتى بدايات القرن العاشر الميلادى حكام الأقاليم البيزنطية الذين يشكلون فى نفس الوقت قادة الجيش. عنه أنظر:

Constantine Porphyrogenitus: De Cremoniis Aulae Byzantinae, ed.I,Reiskii, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1829),2 vols ,1,chap.1,24; Bury.J.B, The Imperial,pp.22,27,28,29.

؛ طارق منصور، الوظائف، ص ١٥٤-١٥٧؛ وكتابه، قطوف الفكر البيزنطى ج١، الأدب (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص ١٢٦-١٢٧؛ طارق منصور، الحرس، ص ١٨٨ هامش ٨.

هذا وقد أشار الخوارزمى إلى البطريق على أنه القائد من قواد الروم، وهو بهذا يشير إلى قادة الجيش البيزنطى الكبار الذين يحملون فقط لقب بطريق. أنظر: الخوارزمى، مفاتيح العلوم، نشر دى جويه (ليدن: ١٨٩٥م)، ص ٧٧؛ طارق منصور، الوظائف، ص ١٥٥.

(٥٤) الهمذانى، كتاب البلدان، ص ١٩٠.

(٥٥) ابن رسته، مصدر سابق، ص ١٢٣-١٢٥؛ وأنظر: البكرى، جغرافية الأندلس وأوربا، ص ١٩٦-١٩٧؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١١٩-١٢٠.

(٥٦) **عن دخول الإمبراطور لصحن الكنيسة وتأديته الشعائر.** أنظر:

Ebe solt (Jean); Sanit- Sophia de Constantinople, Étude de topographie d'aprés les cérémonies (Paris,1910),pp.1-21.

؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، العدد الرابع، ص ١٢٠

ابن رسته، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ البكرى، المصدر السابق، ١٩٧؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، العدد الرابع، ص ١٢٠.

(٥٧) ابن رسته، الأعلاق، ص ١٢٤-١٢٥.

(٥٨) Constantine VII Porphyrogenitos, A., Le Livre des Ceremonies, trad et com par Vogt (Paris,1935), V.1,PP.3-6.

أما عن قسطنطين السابع Constantine VII: فقد لقب بالبروفيروجنيتس

Porphyrogenitus أى المولود فى القاعة الأرجوانية، وهو الإبن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI(٨٨٦-٩١٢م) من زوجته زوي Zeo. ألف عدة كتب وأنشأ مكتبات أكتسب منها خلفاؤه معارفهم. منها كتاب أعده ليكون تاريخًا لجده الإمبراطور باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) وكتاب أخر بعنوان: إدارة الإمبراطورية البيزنطية Byzantinae De Aministrando imperio وآخر عن مراسم البلاط البيزنطى De Cerimoniis Aulae Byzantinae، هذا بالإضافة إلى كتابه عن الثغور Dethematibus تحدث فيه عن الأقاليم الجغرافية للدولة البيزنطية. عنه أنظر: قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمود سعيد عمران (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م)، ص ٣٧-٤٩.

وعن كتابه مراسم البلاط البيزنطى فإنه يعتبر وصفًا لناموس الحياة فى البلاط البيزنطى. وقد جرى الاستناد فى تأليف هذا الكتاب إلى ما هو محفوظ فى القصر من سجلات رسمية فى العصور المختلفة، وما تضمنه من مادة عن التعميد، والزواج، والتتويج وتشييع جنائز الأباطرة، وطقوس الكنائس، واستقبال السفراء الأجانب، والوظائف والألقاب، وسائر مظاهر الحياة، ولعل هذا لا يجعل منه مصدرًا قيمًا للحياة فى البلاط البيزنطى فحسب، بل يعتبر أيضًا مرجعًا للحياة الاجتماعية فى الإمبراطورية بأجمعها. عنه أنظر: شعبان محمد خلف محمد حمزة، "مراسم الاحتفال بتتويج الأباطرة البيزنطيين فى ضوء كتاب المراسم للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyrogenitus" بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة العدد الرابع والأربعون يناير ٢٠١٤من ص ٥٩-٦٠.

(95) Manojlovic:"le peuple de Constantinople" Byzantion,T.11,(Bruxelles,) ,p.617.